المرجعيات الاجتماعية في شعر فتيّان الشاغوري (ت ٦١٥هـ)

Social References in the Poetry of Fatian Al-Shaghouri (d. 615 AH)

م.م احمد خميس كردي
Asst. Lect. Ahmed Khamis Kurdi
جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية
University of Mosul / College of Education for Human Sciences / Department of Geography

E-mail: ahmed.kurdi@uomosul.edu.iq

https://orcid.org/0009-0001-6122-7685

الكلمات المفتاحية: : المرجعية، الاجتماعية، فتيان الشاغوري، الشعر الاجتماعي.

Keywords: Reference, Social, Fatian Al-Shaghouri, Social poetry.

الملخص

تلعب المرجعيات الاجتماعية دورًا كبيرًا في معرفة تاريخ الأمم الاجتماعي والاعراف السائدة فيه؛ لذلك نرى إن تلك المرجعيات برزت في نتاج الأدباء شعراء كانوا أم كتابًا، كما إن العادات والتقاليد التي يحيطها العرف الاجتماعي في مجتمعات العصر الأيوبي امتازت بطابعٍ ديني محافظ، إذ نرى إن أي سلوك اجتماعي شاذ يقابل بالغرابة والنفور على الرغم من انفتاح المجتمع في تلك الفترة وخصوصًا أنه يمثل امتدادًا للعصر العباسي الذي اختلط فيه الفرس بالعرب وشاع حينها اللحن في اللغة والغزل بالغلمان والمجون في الأفعال، وما يهمنا في هذا البحث التركيز على المراجع التي يتكئ عليه الأخلاف بعادات الأسلاف واعرافهم الاجتماعية والتي سبق ذكرها الجوار والكرم ووفاء العهد وغيرها، وبذلك فقد ركز الشعراء على تضمين نتاجهم الشعري تلك العادات الاجتماعية التي تمثل (مرجع) يتباهى فيها كل مجتمعٍ ويشمخ بها أنفه، خصوصًا إن العرب تحب التباهي بالأنساب.

Abstract

Social references play a major role in knowing the social history of nations and the prevailing customs in them; therefore, we see that these references emerged in the production of writers, whether poets or writers, as the customs and traditions that surround social custom in the societies of the Ayyubid era were characterized by a conservative religious character, as we see that any deviant social behavior is met with strangeness and disgust despite the openness of society in that period, especially since it represents an extension of the Abbasid era, which mixed in the Persians with the Arabs and at that time the melody in the language and flirting with boys and debauchery in actions became widespread, and what concerns us in this research is to focus on the references that are the basis and foundation on which the descendants rely on the customs of the ancestors and their social customs, which were previously mentioned, such as neighborhood, generosity, loyalty to the covenant, and others. Thus, the poets focused on including in their poetic production those social customs that represent (a treasure) in which every society boasts and raises its nose, especially since the Arabs love to boast about lineages.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا شك أن العصر الأيوبي كان عصرًا حيويًا نشط فيه الأدب، وبرز فيه الشعراء ومختلف الفنون. ولعل من بين هؤلاء الشعراء فتيان الشاغوري، وربما كان قريبًا من السلطة آنذاك، وقد اخترناه عينة لبحثنا، الذي قام على التعريف بالشاعر ومرجعيته الاجتماعية، ثم تناول الشعر الاجتماعي، ثم دخلنا في تفاصيل البحث، وأقصد بها مرجعية حسن الجوار، ومن ثم مرجعية الكرم والوجود، فالوفاء بالعهد، وأردفنا ذلك بخاتمة، سائلين الله عز وجل أن يوفقنا.

التمهيد

قبل الخوض في الموضوع لا بد لنا من التعريف بالمرجعية لغة وإصطلاحا ومن ثم التطرق لمفردة الاجتماعية، بعدها نعرف بالشاعر، ولا بد لنا أن نذكر بإن هناك رسالة ماجستير تناولت المرجعية الاجتماعية في شعر فتيان الشاغوري إلا أنها تناولتها بشكل ضيق، إذ تطرق لظاهرتين هما الفقر والحسد وهما ليستا بمراجع اجتماعية، مما دفعنا إلى كتابة بحث يختص بدراسة هذه المرجعيات في شعره.

المرجعية لغةٌ:

ورد ذكر مرجعية في القرآن الكريم في قوله تعالى:" **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**" (القرآن الكريم، المائدة،١٠٥)

وفي المعجم الوجيز جاءت في معنيين الأول العدول عن الكلام أو الرأي وفي الثاني العودة من السفر (أنيس، ١٩٨٤، ٣٣١)، أما في لسان العرب فقد أتت من (رَجَعَ، يَرْجِعُ، رجعًا، ورجُوعًا، ورُجعى، ورجْعانًا، ومَرجِعًا ومرْجِعةً: انصرف (ابن منظور، د.ت، ١٤٩).

أمّا المرجعية في الاصطلاح:

تعددت الارآء في تعريف المرجعية اصطلاحا وكلٌ له منظوره الخاص الذي يعرف فيه ذلك المصطلح. إلا انهم في نهاية المطاف اتفقوا على أن المقصود بها العودة أو الرجوع للشيء، وبذلك يعرف عالم اللسانيات الحديثة الناقد **رومان جاكبسون** وهو أحد الشكلانيين الروس المرجعية على انها" أساس كل ما توصل إليه، فهي تحدد العلاقات بين المرسل والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه، وهي أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل ذاتها"(الطبال، ١٩٩٣، ٦٧).

فيما عرف محمد التنوجي المرجع على أنه" كل كتاب لم يؤلفه كاتبه وجاء في زمن متأخر هو مرجع"(التنوجي، ١٩٩٩، ١٨٢)، وبناءً على ما سبق ذكره يمكن القول إن المرجع يمثل الرجوع للشيء أو العودة إلى أصل الشيء وأساسه.

وفيما يخص مفردة **الاجتماعية** فأن الإنسان يمثل بيئته كما يقال وتنعكس تلك البيئة على تصرفاته وانتاجاته فهو الجزء من الكل وبذلك فأن الشاعر أو الأديب يسلط الضوء على ظواهر مجتمعه في كتاباته ونرى إنه يركز على حاجيات مجتمعه والأغراض السائدة فيه من حسد أو حسن جوار أو شكوى أو فقر وما إلى ذلك فالبيئة تسهم في صنع ذاته و" تشكل علاقته بالعالم، وتعطي لأفعاله طابعًا مميزًا، فبالذات يكوّن الإنسان صورة نفسه، وصورة الآخرين، بوصفها موضوعًا أساسيًا للتفاعل"(زايد، ١٩٨٤، ٣٩٦-٣٩٧). وعليه يتأثر الفرد بالعوامل المؤثرة من حوله فإذا مر المجتمع بفقر ترى ذلك في نتاجات شعرائه وما يدور في أنفسهم لأن " النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس، النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس، والنفس التي تتلقى الحياة لتصنع الأدب هي التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة"(إسماعيل، د.ط، ٥). ومما سبق يتضح لنا إن العلاقة بين الأديب والمجتمع علاقة تأثر وتأثير.

فتيّان الشاغوري (ت ٦١٥هـ):

أبو محمد فتيان بن علي بن جمال الدين الأسدي النحوي، شاعر ومعلم من دمشق، عاش في عصر الدولة الأيوبية (النجدي، ١٩٧٦، ٥).

اصبح فتيان مقربًا من أمرائها، وكان أيضًا مادحًا لهم في المحافل، عمل معلمًا في منطقة بانياس بدمشق، وتميّز شعره بكثرة المحسنات البديعية، وكان من الشعراء المعروفين في ساحة الشعر آنذاك.

الشعر الاجتماعي:

يمثل الشعر الاجتماعي تاريخ الأمم من الناحية الاجتماعية إذ يركز على القضايا التي تصيب كل مجتمع أو تسوده في فترة ما فهو أشبه بالصحيفة التي تسجل كل أمر أو قضية اجتماعية، وإن الشاعر الاجتماعي يطرح في نتاجاته الشعرية ما يطرأ على مجتمعه من ظاهرة فهو يكتب للمجتمع وهم بالجهة الأخرى ينتظرون منه، فنراه يكتب تارة عن حق الجوار، وتارة أخرى يكتب عن الظلم،

ويسلط الضوء أحيانًا على الحسد، ويتناول الفقر مرجعًا في شعره أحيانًا أخرى، لذلك يمكن القول أن المرجعيات الاجتماعية ليست أبعادًا وإنما ظواهر لها أساس ودلالات فمثلًا يعد قارون مرجعًا ومثالًا في الامتلاك والغرور وكذا الحال بالنسبة للطغيان والتمرد فأن فرعون يعد مرجعًا لذلك، ويمكن القول بأن الشعر الاجتماعي" يهتم بإبراز المضامين الاجتماعية والبحث عن المصدر الذي نشأت منه، وكذلك مدى تمكن الأديب من تشخيص الوضع الاجتماعي، وهذا يتطلب من الأديب أن يعايش عن قرب مشكلات المجتمع والتفاعل مع مختلف القضايا كما يعد هذا الأخير تعبيرًا عن سلبيات هذا المجتمع وكشف علله وأمراضه".(موافي، ٢٠٠٥، ٨٠) وبهذا يكون الأديب مرآة مجتمعه يعكس كل ما يراه فيه بوساطة نتاجاته، وبما إن المرجع يمثل العرف الاجتماعي السائد في عصره والذي يكون مرتبطًا بعادات وتقاليد المجتمع فأن تحليله يتطلب فهم السياق الاجتماعي الذي نشأ فيه، والعرف الصحيح ما لا يخالف نصًا من نصوص الشريعة، ولا يفوت مصلحة معتبرة، ولا يجلب مفسدة راجحة، كتعارف الناس على ان ما يقدمه الخاطب إلى مخطوبته من ثياب ونحوها يعتبر هدية ولا يدخل في المهر، وكتعارفهم عند عقد المهر على دعوة جمهور من الناس وتقديم الحلوى إليهم، وكتعارف أهل بغداد قبل خمسين سنة على قيام أصحاب البيوت بتقديم الغداء إلى من يشتغل عندهم من عمال البناء، وكذلك تعارف أصحاب المقاهي على تقديم الغذاء والعشاء إلى صناعهم، وكتعارف الناس في العراق على أن المهر المؤجل لا يستحق، ولا يطالب به، إلا بعد الفرقة بالطلاق أو الموت (زيدان، ١٩٨٧، ٢٥٣).

وهذه المرجعيات قابلة للتغيير بحسب الزمان والمكان، والظروف المحيطة ، وتطور العصر والحياة.

المدخل التأطيري:

سعى الأدباء العرب وعلى رأسهم الشعراء إلى غرس المرجعيات الاجتماعية واظهارها للأجيال المتعاقبة، كونها تمثل إرث الآباء والأجداد وواجهة المجتمعات آنذاك، ولا شك إن المجتمعات مثلما تحوي طبقات تمتاز بالترف والبسط ، تحوي أيضًا على أخرى تمتاز بالفقر والانحسار ولعل الفقر يشكل ظاهرة ومرجعًا اجتماعيًا في أغلب العصور التي حكمها العرب سواءٌ في عصر الجاهلية أو عصر صدر الإسلام فالأموي مرورًا بالعصر العباسي فالأيوبي الذي ينتمي إليه شاعرنا فتيان الشاغوري ، وقد عرف هذا العصر بإن أغلب شعرائه مداحون ويتكسبون لقمة العيش من خلال أشعارهم، ولعل الكرم يشكل مرجعًا أساسيًا في مختلف المجتمعات العربية فلا بد أن نسلط الضوء على ما جاء في شعر فتيان الشاغوري من ذلك المرجع الاجتماعي. وستناول في تحليلنا لشعره ثلاثة مراجع مهمة (الجوار، الجود والكرم، الشجاعة).

١-الجوار:

لا شك إن حسن الجوار من الاعراف والمرجعيات التي يعتز بها العربي في كل زمانٍ ومكان، لاسيما بعد صدر الإسلام إذا نلحظ في كتاب الله عز وجل ذكر الجوار وفي أحاديث نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، وإن من الشجاعة والجود والنخوة أن يحمي العربي جاره ويحسن إليه، ولعل الشاعر يذكر موطنًا يبين فيه كيف أساء جيرانه إليه فكتب مستخدمًا صورًا بلاغية عبر من خلالها عما يدور في داخله من عتبٍ ولوعة تجاه أشخاص لم يرَ منهم سوى الجفاء والمعاملة السيئة، ونراه " يصور بإحساسه وعينيه معًا، ومن هنا لا يجيء التشبيه لتحقيق التماثل والتناظر، وإنما لأنه جزء لا يتجزأ من التجربة الشعرية، ولقد ساعد على امتلاء القصيدة ووفرة صورها وإيحائها، وجمال لغتها التشكيلية، انها ركزت فيما ركزت على (شيء عيني) تحول إلى قيمة نفسية وجمالية (بدوي، ١٩٧٧، ١٢٩)، وقد كتب عن ذلك قائلًا (البسيط):

سَلْ عن فؤادي بسَلع من كلفَتُ بهِمْ لم أُسكِنوهُ وهم أَلقَوْه في النار
يَهيجُني البرقْ من تِلقاءِ كاظِمَةٍ آهٍ لإيماضٍ ذاكَ البارقِ الساري
أَستودِعُ الله جيرانًا أُحبُّهُم جاروا ولما يُراعوا حُرمَةَ الجارِ
ماضرَّهُم يومَ بينِ الحيَّ لوَ عطفَوا على صريعِ هوىً في عَرْصةِ الدار

(النجدي، ١٩٧٦، ١٥٩)

يذكر الشاعر في النص الشعري آنف الذكر أذية جيرانه رغم حبه لهم وإن أشد أنواع القسوة هو الجور على من نحب لاسيما عندما تكون تلك المحبة مرتبطة بعلاقة دامت لوقت كثير فالشاعر وصف لسان حال الكثير من الذين عاشوا عصره ويمثلون بعض المجتمعات.

وفي موضع آخر يذكر الشاعر الجيران لكن بالصيغة المعهودة والمعروفة عن الجيران اي حق الجيرة وحسن الجوار ولعله كتبها بلغة شعرية أضفت على النص جمالًا وبعدًا دلاليًا، إذ يذكر الشاعر الممدوح بشتى الصفات الحسنة والآثار الطيبة، يقول فيه (البسيط):

أَنتُمْ جِبالُ حُلُومٍ فهْيَ راسِيَةٌ أَنتُم بِحارُ علومٍ وهْيَ زُخّارُ
لِلّهِ دَرُّ ضِياءِ ٱلدّينِ إِنَّ لَهُ مجْدًا لَهُ عِندَ مَنْ والاهُ آثارُ
ياربَّ كُنْ جارَهُ مِمّا يُحاذِرُهُ فَما يَخيبُ لَه راجٍ ولا جارُ

(النجدي، ١٩٧٦، ١٩٤-١٩٥)

بدء الشاعر بيته بأسلوب النداء القريب داعيًا الله عز وجل أن يحفظ ممدوحه وأن يحيط به بقوله: **(كُنْ جارَهُ)** أي قريبًا منه، ومما يخاف منه أو يحاذر ولأن مكانة الجار عظيمة فقد اختار الشاعر

ألفاظه بعناية صور بها تلك المكانة بأسلوب بلاغي، وقد استعمل الشاعر الجناس الناقص المتمثل في مفردتي (راجٍ) و (جارُ) خرجت الأولى من داخل النفس ومكامنها إذ دلت على صدق المناجاة التي صورت لنا التذلل لله بأسلوب بسيط غير معقد، فيما خرجت الثانية على الإحاطة الخارجية والأمان إذ يمثل الجار السند والعضد وما تطمئن إليه النفس، ويمكن القول عن نتاج الشاعر انه يقوم أساسًا على النتاج الأدبي من جهة كونه شكلًا من أشكال المعرفة، وهذه المعرفة تبدأ من حيث ينتهي العلماء في صياغة نتائج بحوثهم فيأخذها الأديب طارحًا إياها على الصعيد العاطفي، وإذا كان الناقد يجد من السهل الوقوف على أرضٍ صلبة فإنه يظل مفتقدًا الوسيلة التي تفسر له معنى ان رؤية الأديب لا تخرج عن أن تكون رؤية وجدانية، ويلتمس هذه الوسيلة في علم الجمال، إذ يواجه دينامية الابداع ومدى تأثر المتلقي بما وصله منها أي يتتبع عمليتي الخلق والتذوق معًا؛ لكنه لا ينسى اطلاقًا ان مجاله الحقيقي هو النص الأدبي وصوره ودلالة رموزه، واشارات لغته، ذلك إن وسائل الصياغة ضرورية لكي يصبح تصوره وتصبح معانيه حقيقة إنسانية عامة، ومن ثم لا يبتعد الناقد تاركًا خلفه النقطة التي ينطلق منها الأديب (أحمد، ١٩٧٢، ٢٢). فالشاعر أجاد الوصف والتعبير في نصه هذا.

ويشبه الشاعر ممدوحه بالبحر الذي يغرق جيرانه بالخير وحسن الجوار عبر لغة شعرية عالية استعمل فيها الأساليب التركيبية والدلالية أضفى من خلالها على نصه الجمال في الشكل المضمون فيقول مناديًا نداء مباشرٌ (الكامل):

يامن يجاوِرُهُ لقد جاورَت منهُ البحَرَ يقذِفُ بالجواهِرِ مُحَسِبا
لا تخش من سَيْلِ الخُطوب أَذىً إذا جاوَرْتَهُ والسَيْلُ قد بلَغَ الزُّبا
أَوَ ما تلا حسادُه يا ويْحَهُم (عمّا) فكم يتساءلون عن النبا
هذا الذي بَذَّ الملوكَ بأَسْرِهِمْ فضلًا فأَعجَزَ واصِفيهِ وأَتعبا

(النجدي، ١٩٧٦، ٣٦)

نرى في النص غزارة للمعاني وقدرة على التوظيف والإبداع ففيه استعارات وتشبيهات استعان فيها الشاعر ليترك انطباعًا لدى المتلقي عن ممدوحه فشبهه بالبحر في السخاء في البيت الأول، ثم بدأ كلامه ب(لا) الناهية في البيت الثاني إذ فيها تنبيه على أن من جاور الممدوح لن يتركه في أصعب الظروف واحنكها ويشبه ذلك بالمثل (بلغ السيل الزبا) اي لو وصل كربه ذروته فهو بجانبه، وفي البيت الثالث يحذر حساده أنهم مهما حاولوا لم ولن ينالوا منه أو يصلونه (لا يخفى على القارئ التناص الديني الموجود في البيت)، وفي البيت الرابع يشير إلى عجز الشعراء عن وصفه ويشير أيضًا إلى سبقه لأقرانه الملوك.

٢-الجود والكرم:

لا يختلف أثنان في أن العرب هم أهل الجود والكرم والعطاء ولهم في ذلك اضرب ومواقف، وبما أنه يعد مرجعًا فقد تغنى به شعراء العرب في وصف عطايا الملوك والأمراء، وعند ذكر الجود لا بد أن نستذكر قول أبي العتاهية في وصف جود العرب وسخائهم إذ يقول (البسيط):

يَجُودُ بالنَّفْسِ إنْ ضَنَّ الجَوادُ بِها والجودُ بالنَّفْسِ أَقْصَى غايةِ الجُودِ

عَوَّدْتَ نَفْسَكَ عاداتٍ خُلِقْتَ لَها صِدْقَ اللِّقاءِ وإنْجازَ المَواعِيدِ

"فالشعر حقيقة الحقائق، ولب الألباب، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس، والناقل الأمين عن لسانها، فان كانت النفس تكذب فيما تحس به أو تناجي بينها وبين ضميرها، فالشعر كاذب، قد يخالف الشعر الحقيقة في صورته، ولكن الحر الأصيل منه لا يتعداها، ولا يمكن أن يشذ عنها، لأنه لا حقيقة الا بما ثبت في النفس واحتواه الحس" (الفريجات ،١٩٨٥، ١٧٩)، فالشعر أذن إرث الأمم وسجلها الحضاري قديمًا وهو كما يقال ديوان العرب، وقد صور لنا الشاعر مرجعًا اجتماعيًا في وصف كرم ممدوحه، إذ يقول (الكامل):

لعُفاتِهِ وعِدَاتِهِ من جُودِهِ وجنودِهِ السَّرَّاءُ والضَّرّاءُ

ولَدَيهِ كلُّ عجاجَةٍ سوداءَ في يومِ الكَرِيهَةِ روضةٌ خضراءُ

(النجدي، ١٩٧٦، ٣)

نلحظ في هذا النص إن الشاعر ابتدأ بالتوكيد وهذه دلالة على كثر جوده، ثم وظف الغرض البلاغي الجناس في نصه بلغة ومضمون متميز فنراه يذكر (جُودِهِ) و(جنودِهِ) تدل الأولى على العطايا وبسط اليد للناس، فيما تدل الثانية على كثرة السخاء الذي وصف فيه المادي بالمعنوي بصورة شعرية جميلة، ويذكر جناسًا ناقصًا تمثل في مفردتي (السَّرَّاءُ) و (الضَّرّاءُ) وهما من الثنائيات الضدية تدل الأولى على أيام الفرح والفرج فيما تدل الثانية على أيام العسر والكرب وقد اضفيا على النص ايقاعًا موزونًا، ويكمل البيت الثاني ما بداه الأول فيذكر أن أيام المحن والسنين العجاف عنده أنما هي ايام يبرز فيها نجم ممدوحه فتراه يحول السواد المشؤوم الذي يدل على الفقر والجوع والحروب إلى أيام اطمئنان وراحة بذكره روضة خضراء فاللون الأخضر فيه سكينة النفس واستقرارها.

بقريحة شعرية تحمل غزارة في المعاني والتراكيب يوظف الشاعر نصًا شعريًا فيه من المعاني الكثير ومن المضامين أجملها، إذ وصف أحد ملوك العصر الأيوبي فيقول (الطويل):

غدا مثلَ شَهْرِ الصَّوْمِ في الصَّوْنِ عِرْضُهُ بمالٍ له في المكرُماتِ يُبيحُ

هنيئًا له شَهرُ الصَّيامَ فَفَعلُهُ بِهِ مَتْجَرٌ عِندَ الإلٰهِ رَبيحُ

إذا جادَ قالتْ طَيِّءٌ عِندَ جُودِهِ أَلا إنَّ فينا حاتَمًا لَشَحيحُ

(النجدي، ١٩٧٦، ٨٢)

يحمل النص بعدًا دينيًا وأخلاقيًا ففيه إشارة إلى قدسية شهر رمضان وقيمته، فنراه يشبه ممدوحه بالشهر الفضيل والذي يمسك فيه عن كل الأشياء المحرمة إلا كرمه وجوده فهو مباح، وفي النص جناس ناقص تمثل في مفردتي (الصَّوم) و (الصَّون) تدل الأولى على الإمساك عن المحرمات، ودلت الثانية على حفظ النفس وعفتها وسترها، وفي البيت الثاني نرى دلالة النص التي غيرت المادي في ظاهرها إلى فعل معنوي روحي والمتمثل في مفردة (متجر) وهو رمز قصد بها الصدقات والحسنات، وفي البيت الثالث يشير إلى مرجع العرب في الكرم (حاتم الطائي) بوساطة العلامة اللغوية فيقارنه بممدوحه ويرجح الكفة للأخير، وما أكد ذلك ذكره ل(الشح) وهو عكس الكرم ويدل على القلة والبخل.

ينتقل الشاعر في توظيفه للمراجع الاجتماعية الخاصة بالجود والكرم بأساليب وتراكيب مختلفة فنراه يغلب الجانب التركيبي على النص تارة ويزيد في استعمال الجانب الدلالي تارة أخرى، وأحيانًا يوازن بين الأثنين، وفي ضوء ما ذكر يصور لنا الشاعر كرم ممدوحه بإحساسه وعينه وبلغة شعرية مبالغ فيها كتب فيها قائلًا (البسيط):

لِلّهِ دَرُّ ابنِ فَرْخُشاهَ من مَلِكٍ حكا أَباهُ ففاقَ العُجمَ والعَرَبا
فذاكَ أَسمحُ من أَعْطى و أَفصحُ مَن أنْشا وأَبلَغُ من أَملىٰ ومن كَتَبا
ما ردَّ من دونِهِ الحرمانُ سائلَهُ وفي الهِياجِ يَرُدُّ الجَحْفَلَ اللَّجِبا
إن يَرْض خَاطِبْهُ بالمَعروف تَحْظَ بِهِ ولا تُخاطِبْهُ في أَمرٍ إذا غَضبا
مافي سلاطينِ هذا العَصْرِ كلَّهِمِ كآبنِ المُعِزِّ يُعِزُّ الفَضلَ و الأَدَبا

(النجدي، ١٩٧٦، ٣٧-٣٨)

يلحظ في النص استعمل الشاعر للصفات (أسمح) و(أفصح) و(أبلغ) ففي الأولى إشارة لكثرة سخائه وفي الثانية دلالة لفصاحته وبلاغة لسانه، وفي الثالثة إشارة لإجادته العربية بمهارةٍ، وإن استعماله للصفات أضفى على النص إيقاعًا جميلًا، ثم يذكر الأفعال (أعطى) و(أنشا) و(أملى) التي جاءت تعزيزًا للصفات، ونراه يصور ممدوحه بالاتزان والحكمة في البيت الثالث فصدر البيت يدل على السماحة واللين وعجزه يشير إلى الصلابة القسوة على جيوش اعداءه كما في قوله: (ما ردَّ من دونِهِ الحرمانُ سائلَهُ) و(وفي الهِياجِ يَرُدُّ الجَحْفَلَ اللَّجِبا) وقد أجاد الشاعر في وصفه رغم مبالغته، وبأسلوب طغت عليه غزارة المعاني وجودة اللفظ وسهولة المعنى.

٣- الوفاء بالعهود:

لا شك أن العرب قوم تعتز بوفائها لعهودها وعلى مر الزمن، وما يثبت ذلك ورود هذا في الكتاب الحكيم وفي أحاديث الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) إذ أوصانا الله سبحانه وتعالى

ورسوله على ذلك، ويعد الوفاء بالعهد من المروءة ويظهر ذلك في أشعار ومواقف العرب قبل الإسلام في إرثها التاريخي ولانه من شمائل العرب كانت لا تقتل رسل الحرب بعد طلبهم إقراءهم السلام أولًا ومن ثم إلقاء رسالته المحمول بها أي وفائهم بكلمته التي قطعوها مهما كانت نية ورسالة الرسل، وقد سلط الشاعر على هذا المرجع في شعره واخترنا منه نماذج حاولنا من خلالها اعطاء هذا المرجع حقه في التفصيل والتحليل، كما إن " قراءة النص ومحاولة فَهْمه بَعثٌ له من جديد، أحياء له من عالم الرُّكود والسُّكون إلى عالم الحياة والحركة، فالقارئ الفاعل هو الذي يعيد بناء ما خلَّفه النص من تصوُّرات في شبكة منسجمة الخيوط. وإذا توقف قارئ عن حد القراءة فقد أراد أن يظل محتفظًا لذاته بالمتعة التي تحققت له من هذه العملية"(بحيري، ٢٠٠٤، ٤٢) وعلى وفق ما ذكر يقول الشاعر (الطويل):

أَجبْتُ دواعي الشَّوقِ بالسَّوْقِ مُعْمِلًا إليكمْ مَسيرًا بالنَّياقِ حَثيثا
إذا ما آمْرُوءُ رَثَّتْ حِبالُ عُهُودِهِ فحاشَ لِعَهدي أَن يكونَ رثيثا

(النجدي، ١٩٧٦، ٧٠)

لا يخفى على القارئ ما يحويه النص من أساليب ودلالات فيها ما فيها من اعتزاز بالنفس من لدن الشاعر، ومن محسنات بديعية أضفت على النص جمالا وذوقًا ومقربة إلى نفس المتلقي، ونلحظ طغيان الأنا في النص وبات ذلك واضحا من خلال استعماله جملة الشرط في البيت الثاني صانعا بذلك مقارنة بينه وبين أقرانه، وفيه ينزه الشاعر نفسه عن اقرانه والسابقين وما يثبت ذلك المقارنة التي أنشأها والتي عززها بذكر المفردتي (العهد) وال(رث) فالأول تدل على الوفاء للصحبة والثانية دلت على القدم ولا يخفى على القارئ الجناس الناقص الموجود في اللفظتين، وقد بدأ الشاعر بالشرط في البيت الثاني ليعزز بذلك الثبات على العهد مهما طالت مدته وعبر الزمن.

وفي نصٍ آخر يتذكر الشاعر موطن صباه وعهده الأول وما آلت إليه الظروف تقلبات الحياة، في جوانب وانعكاسات الحياة الاجتماعية مشيرًا من خلالها إلى مرجع الوفاء بالعهد والوعد والذي يمثل قيمة اجتماعية وعادة من شمائل العرب لما يحمله من مروءة الرجال والأخلاق التي اتصفت بها العرب، و"ينبغي أن نضع في الاعتبار هنا أنه تتباين كفاءة القّراء كما تتباين طاقات النُّصوص؛ إذ إنه ليس هناك ما يسمّى بالتفسير النِّهائي، ويرتبط بقاءُ النَّص واستمرارُه بما يقدمه من تفسيرات متعدَّدة، من خلال قراء تختلف قدراتُهم، فتختلف نتاجاتهم، ويحتفظ النَّصُّ بجزء من كينونته في كل تفسير، يمثلِّ هو في ذاته جزءًا من واضعه"(بحيري، ٢٠٠٤، ١٤٢)؛ لذلك ثمة فوارق في مستويات التحليل وآلياته، فالباحث حلل النصوص على وفق ما يملك من أدوات، والشاعر كتب نصًا في العهد يقول (الطويل):

قِفا نَبك من ذكرى الحبيبِ فإنني بِطُولِ بُكائي في الدِيارِ عَنيتُ
كَفى حَزَناً أَنيّ أَزيدُ صَبابةً إذا أَنا بالإِعْراضِ عَنهُ نُهيتُ
لَكَ اللهُ يا حادِى المَطِيّ ترفُّقاً بها فهي تُدني الوَصْلَ وهيَ تُفيتُ
مُنى النّفس أَن تَدنْو الديارُ بأهلِها فمن بُرَحَائي بالسَّلام مُنيتُ
نأَتْ دارُهُمَ عَنّي فأَغْرَبْت في البكا فيا بُعدَها عَنّي إذا أَنا جِيتُ
هُمُ وَعَدوني بالوِصالِ فأَخْلَفُوا فمِنْهُم بنيرانِ الغَرامِ صَليتُ

(النجدي، ١٩٧٦، ٦٧)

معتمدًا في نصه على قول امرئ القيس، كما لا يخفى على القارئ ما يحمله النص من أبعادٍ نفسية وخيبة أمل لما أصبح عليه حاله؛ لاسيما وأن محبوبته لم تفِ بالوعد والعهد مما أثر في نفسه كثيرًا، إذ إن العرب تقدس العهد، ثم يذكر الشاعر البعد عن الديار وما يصاحبه ذلك من حزنٍ وألم والمتمثل في ذكره للأطلال والبكاء عليها والذي يمثل مدى حزن الشاعر، ويذكر أيضًا (الحادي) دلالة على سفره الطويل الذي تفرضه عليه بيئته الصحراوية وحياة العرب الاجتماعية آنذاك.

الخاتمة

يتّضح من خلال هذه الدراسة أن الشاعر فتيان الشاغوري كان شاعراً ذا مرجعيات متعددة، امتزجت فيها الأبعاد الأدبية والدينية والتاريخية والاجتماعية، نتيجة اختلاطه المباشر بمختلف فئات المجتمع من شعراء وملوك، فضلًا عن تنقله وترحاله، وقربه من السلطة الأيوبية في دمشق، مما صقل تجربته الشعرية وعمّق رؤاه الفكرية، وقد تجلت هذه المرجعيات بوضوح في شعره، ولا سيما المرجعية الاجتماعية التي شكّلت محورًا أساسيًا في كثير من نصوصه، إذ استطاع أن يعكس من خلالها واقع عصره ومجتمعه، مستعملًا لغة شاعرية وصوراً بيانية فنية، مع تمكنه من أدواته التعبيرية وأساليب اللغة العربية، كما أن تمسّكه بعادات العرب وتقاليدهم، وتوظيفه لها داخل البناء الشعري أضفى على نتاجه طابعًا ثقافيًا ، وكان من أبرز الحوافز التي استدعت دراسة تجربته بوصفها مرآة لهوية حضارية متجذّرة، ويظهر من خلال هذا النتاج أن الشاغوري لم يكن مجرد شاعر، بل كان صوتًا ناطقًا بوعي تاريخي واجتماعي، يُعبّر عن تحوّلات عصره، ويجسّد بمهارة العلاقة المركبة بين الشعر والسلطة، الأمر الذي يجعل من شعره وثيقة أدبية واجتماعية تستحق مزيداً من البحث والتحليل، وقد برزت في شعره مرجعيات الكرم والعطاء والجود والوفاء بالعهد، مما أسهم في دعم هذا البحث

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

ابن منظور، *الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري. (ت٧١١هـ)*. (د.ت). لسان العرب. دار صادر. بيروت.

أنيس، إبراهيم وآخرون. (د..ت). *المعجم الوسيط*. ط٢. طهران. إيران.

الطبال، فاطمة بركة. (١٩٩٣م). *النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون*. ط١. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان .

التنوجي، محمد. (١٩٩٩م)، *المعجم المفضل في اللغة والأدب*. ط٢. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان .

زايد، أحمد. (١٩٨٤م). *علم الاجتماع. الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية*. ط٢. دار المعارف. القاهرة.

إسماعيل، عز الدين. (د.ت). *التفسير النفسي للأدب*. ط٤. مكتبة غريب. القاهرة.

النجدي، عبد الرحمن. (١٩٧٦م). *ديوان فتيان الشاغوري*. تحقيق: أحمد الجندي. المطبعة الهاشمية. دمشق.

موافي، عثمان. (٢٠٠٥م). *مناهج النقد الأدبيين والدراسات الأدبية*. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. مصر.

أحمد، زكي كمال الدين. (١٩٧٢م). *النقد الأدبي الحديث*. القاهرة. مصر.

زيدان، عبد الكريم. (١٩٨٧م). *الوجيز في أصول الفقه*. ط٦. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان.

بدوي، عبده. (١٩٧٧م). *دراسات في النص الشعري (العصر العباسي)*. مكتبة الشباب. المنيرة. مصر.

فريجات، عادل. (١٩٨٥م). *إضاءات في النقد الأدبي*. دار أسامة. دمشق.

بحيري، سعيد حسن. (٢٠٠٤م). *علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)*. ط١. مؤسسة المختار. القاهرة. مصر.

References:

The Holy Qur'an

Ibn Manzur, Imam Al-Allama Abu Al-Fadl Jamal Al-Din Muhammad ibn Makram Al-Afriki Al-Masri. (d. 711 AH). (n.d.). Lisan Al-Arab. Dar Sader. Beirut.

Anis, Ibrahim et al. (n.d.). Al-Mu'jam Al-Wasit. 2nd ed. Tehran, Iran.

Al-Tabbal, Fatima Baraka. (1993). Linguistic Theory of Roman Jakobson. 1st ed. Al-Mu'assasah Al-Jami'iyah lil-Dirasat wal-Nashr. Beirut, Lebanon.

Al-Tannouji, Muhammad. (1999). The Preferred Dictionary in Language and Literature. 2nd ed. Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah. Beirut, Lebanon.

Zayed, Ahmad. (1984). Sociology: Classical and Critical Approaches. 2nd ed. Dar Al-Ma'aref. Cairo.

Ismail, Izz Al-Din. (n.d.). Psychological Interpretation of Literature. 4th ed. Maktabat Gharib. Cairo.

Al-Najdi, Abdul Rahman. (1976). Diwan of Futyan Al-Shaghouri. Ed. Ahmad Al-Jundi. Al-Hashimiyyah Press. Damascus.

Mawafi, Othman. (2005). Methods of Literary Criticism and Literary Studies. Dar Al-Ma'rifah Al-Jami'iyyah. Alexandria, Egypt.

Ahmad, Zaki Kamal Al-Din. (1972). Modern Literary Criticism. Cairo, Egypt.

Zaidan, Abdul Karim. (1987). Al-Wajiz fi Usul Al-Fiqh. 6th ed. Al-Risalah Foundation. Beirut, Lebanon.

Badawi, Abduh. (1977). Studies in Poetic Text (Abbasid Era). Maktabat Al-Shabab. Al-Munirah, Egypt.

Farijat, Adel. (1985). Illuminations in Literary Criticism. Dar Osama. Damascus.

Baheiry, Said Hassan. (2004). Text Linguistics: Concepts and Trends. 1st ed. Al-Mukhtar Foundation. Cairo, Egypt.